[1]الهاربون من اللَّه

عشـرات ومئـات الملايين يؤمنون باللَّه، ويُصلُّون ويصومون. ولكن كثيرين من هؤلاء المؤمنين يهربون من اللَّه! أي يهربون من الحيـاة معه، ومن محبته، ومن الحياة الروحيـة التي يـدعوهم إليها، أو من بعض المهام التي يـدعوهم إليها... فلماذا يهرب كل هؤلاء؟ وكيف يهربون؟ وهل يستمرون في هروبهم أم يرجعون؟

هنـاك أشـخاص يهربون من اللَّه بسـبب شـهواتهم، يشـعرون أن حيـاتهم مع اللَّه سـتحرمهم من شـهوات لا يريـدون تركهـا. مثـال ذلك الوجوديون الملحدون، الذين يرون أنَّ وصايا اللَّه تمنعهم من تحقيق شـهواتهم وتحقيق وجودهم فيها. فيكون شعور الواحد منهم هو "من الخير أنَّ اللَّه لا يوجد، لكي أُوجد أنا!!".

أو مثل شـخص يقول: "إن سرت مع اللَّه فسأنقسم على ذاتي، وسأدخل في صراع بين الروح والجسد، وصراع بين الخير والشر، وأنا لا أُريد أن أدخل في صراعات! فمن الخير لي إذًا أن أبعد عن طريق اللَّه هذا وعن وصاياه!".

هؤلاء شـهواتهم تتعبهم وليس وصايا اللَّه، ولكنهم لا يريـدون أن يواجهوا هـذا الواقع لأنهم يخافونه. هم مثل إنسان مريض بمرض خطير، يهرب من الأطباء، ومن الكشف والأشعة والتحاليل، لكي يستريح ولو راحة وهمية، هاربًا من الواقع لأنَّ الواقع يتعبه.

وهنـاك أشـخاص يرون أن البعيـدين عن اللَّه مسـتريحون، ويسـتطيعون أن يقضوا مصـالحهم بـأنواع وطُرق شـتَّى: بكذبة بسـيطة تتغطى كل غلطة، بشـهادة مرَضـيَّة مزوَّرة يُبرِّرون كل غياب، بالرشوة والمحسوبية يُقضى كل عمل، بالتساهل في الأخلاقيات يمكن كسب عديد من الأصدقاء، بعبارتين من عبارات التَّملُّق يمكن كسب الرؤساء وخداعهم، وبشيء من الرياء الخفيف يمكن الحصول على احترام الناس ومديحهم، وبضـربة قاسية ومؤامرة خفيَّة يُمكن التَّخلُّص من جميع المقاومين ... أمَّا طريق الرب فهو صعب وكله قيود وموانع! فلمـاذا السـير فيه؟! لـذلك يرى هؤلاء أن الهروب من اللَّه أفضل! أو أن البعض يرى أن طريق اللَّه لا يُنـاسـب العصـر! لا يناسـب ما وصـلت إليه المدنية والأفكار الحديثة وطبيعة المجتمع. ويقولون إنَّ الذين يسـيرون مع اللَّه هم (دقَّة قديمة) لم يتحضروا بعد. فالبُعد عنهم وعن طريق اللَّه أفضـل لكي يحتفـظ الإنسـان بسُـمعته كشـخص راقٍ متمـدن... كمـا يرون أيضًـا أن المجتمع الحـديث يسـخر من هؤلاء المتحفِّظين، وهكذا يهرب هؤلاء من اللَّه.

البعض يهرب من اللَّه بسـبب مُسـمَّيات روحيـة تتعبه: فالحياة الروحية فيها محاسـبة النَّفس، وفيها حياة التوبة، وفيه النمو الروحي. وكل هذه أمور متعبة في نظر هؤلاء. يقول الشـخص منهم: ما معنى أن أجلس وأُحاسـب نفسـي واكتشف أن لي ضعفات وسقطات، وأدخل في مذلة الندم والشعور بالإثم، وأيضًا في تعب الضمير وتبكيته! مالي وكل هذا.

الهروب منه أفضل لكي أعيش مستريحًا. مثل هـذا، هو كشـخص عنده دمّل أو خُراج، لا يريد أن يفتحه ويُنظِّف ما فيه. بل يظن أنه يتركه هكـذا ويستريـح!... كما أنَّ التوبـة بالنسـبة إليهم هي ترك حياة جميلـة في أعينهم فما الـدَّاعي للسَـيْرِ في التوبة وخسارة حياة المتعة الخاطئة.

فـالهروب من كل ذلك أفضل. وبالتالي الهروب من اللَّه الـذي يـدعو إلى التوبـة وتغيير الحياة. أمثـال هؤلاء يعيشون في حالة تخدير دائم من الناحية الروحية. أو في حالة لا وعي بالنسبة إلى ضمائرهم. وهم يهربون من واقعهم ويهربون من اللَّه.

وهناك مَن يهرب من اللَّه، لأنَّ لديه شـيئًا يحرص عليه، ويخاف عليه من اللَّه: هناك مَن يحرص على ما لـديه من مال، أو مظاهر من العظمـة، أو قسوة تخضع الناس له، أو إدارة أعمال للهو، أو شـهرة في الملاهي، أو أساليب خاطئـة توصـله إلى ما يريـد... فإن سار في طريق اللَّه يحرمه من كـل ذلـك. فالوضع الأمثل أن يهرب من اللَّه. والبعض يهرب من اللَّه بسـبب اليـأس، إذ يرى أن السَّيْر في طريق اللَّه طويل لا يعرف مـداه. فاللَّه لا يريدنا فقط في حياة التوبة، إنما يطالبنا بالنمو الروحي حتى نصل إلى حياة القداسة أو الكمال الممكن. فمَن يستطيع كل هذا؟! ومَن يستطيع في كل فضيلة أن يتطوَّر فيها حتى يصل إلى قمَّتِها؟! إذًا الهروب من اللَّه أفضل.

وهناك أسـباب أخرى كثيرة للهروب من اللَّه. على أن الذين يهربون منه، يهربون أيضًا من كل ما يتعلَّق باللَّه. يهربون من دور العبـادة، ومن قراءة كلام اللَّه ووصاياه، ومن التـأمُّل في حياة الفضـيلة، ومن الاجتماعات الروحيـة، ومن كل مَن يُبكِّتهم بسـبب طريقهم الخاطئ، ومن كل مَن يدعوهم إلى تغيير نمط حياتهم.

ونحن نقول لكل هؤلاء: مهما هربتم من اللَّه، فهو سيسـعى إليكم ليجذبكم إليه. وقد صدق داود النبي حينما قال للَّه في المزمور: **"أين أهرب من روحك، ومن وجهك أين أختفي؟!".**

كما نقول لهم إنَّ هذا الهروب ليس من صالحكم. ويجب أن تواجهوا الواقع في شجاعة وصدق. وأوَّل واقع تواجهه هو أبديتك، أي مصيرك الأبدي. فإلى أي مصير سيقودك الواقع الذي تعيش فيه؟ إذًا عليك أن تواجه نفسك. وأنت لا تستطيع أن تخدر ضميرك إلى الأبد. فلابد أن يصحو في يوم ما. وحينئذ ماذا تفعل؟

مشكلة كبيرة تواجه الناس، وهي: كيف سيترك الشخص خطيئته مع أنه يحبها؟! كأن الذي يترك الخطيَّة سيظل بنفس القلب الذي يشتهيه! كلا، فإنَّ اللَّه حينما يُرجِع التائب إليه يمنحه قلبًا جديدًا يختلف عن القلب الذي كان يشتهي الخطيئة. كما أنه يمنحه نعمة خاصة تقوده في الطريق الجديد. فلا تعطِ فرصة للشيطان الذي يحاول أن يظهر لك صعوبة الطريق إلى اللَّه ويُقنعك بالهروب منه.

---

1. مقال لقداسة البابا شنوده الثالث نشر في جريدة الأهرام بتاريخ 17-8-2008م